



الدرس اللساني العرفاني في سورة (الجنّ)

كريمة أبو القاسم خليفة إمام .

قسم / اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب الجميل - جامعة صبراتة

Karima.emhamed@sabu.edu.ly

Orcid.org.0009-0001-6840-8171

الملخص

تتبع الدراسات اللغوية حديثاً بالعمليات الذهنية الإدراكية العرفانية، أي: العمليات التصورية العقلية، وأخذت نظرية اللسانيات العرفانية في الانتشار والتوسع، التي أثبت اللسانيون العرب بأنهم قادرون على فهمها، وتطبيقها، ومواكبة تطورات العصر في شتى العلوم التي تتناولها، وبناءً على هذا التطور، والمواكبة فإن (القرآن الكريم) كان، وما زال، وسيظل حتى قيام الساعة نبأً ومنبعاً نهلاً منه. وثبتت دائماً بأنه هو الأصل الذي يضيف إلى العلوم، والنظريات لا العكس؛ لذلك أُعيدَ هذا البحث؛ ليبرز أهم جوانب الدرس اللساني العرفاني في سورة (الجن) التي أنطق الله ﷻ فيها هذا المخلوق بالتوحيد له، وباستخدام آليات اللسانيات العرفانية نسعى إلى تقريب أو نقل تجربة مخلوق من العالم الغيبي إلى مفاهيمنا في العالم المرئي، والمعلوم لدينا بحسب ما أطلعنا عليه (القرآن الكريم) لكنه دائماً يبرز أن الإيمان يكون بعد الحجة والبرهان، كما هو الحال مع الإنسان.

Abstract;

linguistic studies are concerned with cognitive perceptual processes, that is, mental conceptual processes. The theory of cognitive Linguistics has begun to spread and expand, and Arab linguists have proven that they are able to understand it, apply it, and keep pace with the developments of the era in various sciences. Based on this development and keeping pace, the Holy Qur'an was, still is, and will remain until the Day of Resurrection a beacon and a source from which we draw, and we always prove that it is the origin that adds to sciences and theories, not vice versa. Therefore, this research was prepared to highlight the most important aspects of the cognitive linguistic lesson in Surah Al-Jinn, in which Allah Almighty made this creature pronounce His Oneness (Tawhid). Using the mechanisms of cognitive linguistics, we seek to bring closer or convey the experience of a creature from the unseen world to our concepts in the visible world known to us, according to what the Holy Qur'an has informed us, but it always made clear that faith comes after proof and evidence, as is the case with mankind. Keywords: Cognitive Linguistics, Mental Conceptualization, Surah Al-Jinn, Holy Qur'an, Unseen World, Faith and proof.



استلام الورقة: 2026-07-26	قبول الورقة: 2026-08-18	نشر الورقة: 2026-09-02
كلمات المفتاحية : الدرس اللساني العرفاني، القرآن الكريم، سورة الجن، الجوانب الإدراكية، النظريات العرفانية، علم الغيب، التسليم عن إدراك.		

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ (محمد بن عبد الله).

في ظلّ التطور المتسارع الذي شهده البحث اللغوي المعاصر، برز المنهج اللساني العرفاني (الإدراكي) واحدًا من أهمّ المقاربات التي تجاوزت البنية السطحية للغة؛ ليعيد قراءة النصوص ويغوص في كيفية إدراك الإنسان للعالم من حوله، بناءً على الرؤية الذهنية، وكيفية صياغة هذا الإدراك عبر البنى اللغوية، واصلًا بين اللغة والذهن والتجربة الإنسانية؛ ولأنّ النصّ القرآني يمثل أرضًا خصبة تتظافر فيها المفردات والمعاني والأساليب التي شكّلت معجزة بيانية خالدة، تأتي سورة (الجن) بسياقاتٍ وبنياتٍ نصّية فريدة تحمل أبعادًا دلالية وإدراكية متميزة؛ لتنقل تجربة غيبية لخلق عاقلٍ آخر (الجن) الذي يستمع إلى القرآن لأوّل مرّة، ويعبّر عن أثر هذا الاستماع فيه، بإعادة تشكيل وعيه بالكون والخالق وفق رؤية جديدة، هذا الانتقال من الغيب إلى الشهادة، ومن الجهل بالتوحيد إلى الإيمان المطلق، يتجسّد في السورة بأطر تصويرية، واستعارات معرفية، ومسارات ذهنية تستدعي الدراسة والتحليل في ضوء اللسانيات العرفانية، مقارنة حديثة، تدرس لغة السورة بناءً على التفاعل بين البنية اللغوية، والعمليات الذهنية، والتصورات العقلية التي من شأنها تحقيق الاستيعاب الحقيقي والعميق للنصّ القرآني، وبالتالي يترتّب عليه الإيمان اليقيني بقدرة الله ﷻ، وإدراك حقيقة عالم الجن الغيبي بالنسبة للإنسان، وبند كلّ المفاهيم والمعتقدات الخاطئة من شعوذة واستعانة بهم، وبيان مصير الذين فعلوا ذلك.

أهمية اختيار الموضوع:

تكمن في تطبيق منهج حديث (اللسانيات العرفانية) على نص يزخر بالصور الذهنية والمفاهيم الغيبية وسرديات الحوار (سورة الجن) الأمر الذي يسهم في تجديد آليات التفسير اللغوي للقرآن الكريم.

مشكلة البحث:

تكمن في التساؤل الرئيس التالي: كيف أسهمت البنيات اللغوية في سورة (الجن) في تشكيل الفضاء اللساني العرفاني والإدراكي للخطاب؟ وينبثق عنه أسئلة فرعية:

_ كيف تشكلت الاستعارات العرفانية، والخطاطات الذهنية في تصوير تجربة (الجن) الإيمانية؟

_ ما هو دور المزج المفهومي في تقريب المفاهيم الغيبية للمتلقي؟

_ كيف يعكس التناوب اللغوي والأسلوبي في السورة حركة الذهن البشري و(الجنّي) في استيعاب العقيدة؟

أهداف البحث:

1_ تفكيك البنية المعرفية لسورة (الجن) والكشف عن الأطر التصورية الحاكمة للخطاب.



2_ رصد الآليات العرفانية (البنيتان المفهوميتان الاستعارية التصويرية، والدلالية) ووظيفتهما في سياق السورة.

3_ بيان العلاقة بين اللفظ والمعنى، والذهن والتجربة بتحليل حركة الخطاب داخل السورة.

المنهج المتبع:

اعتمد في البحث على المنهج الوصفي والتحليلي والتطبيقي بالاستعانة بأدوات اللسانيات العرفانية حيث سيتم رصد الظواهر اللغوية في السورة، وتصنيفها وفق الأطر الإدراكية، ثم تحليلها للوصول إلى كيفية بناء المعنى وتصوره في الذهن، ويربط هذا المنهج بين الآيات والواقع المحيط، متجاوزاً التحليل النحوي التقليدي إلى دلالات الإدراك والخيال؛ لذلك سنغرض فيه إلى مطالب عدة بحيث نسعى إلى الإلمام بجوانب، أو ركائز الدرس اللساني العرفاني في السورة، وتتجلى هذه المقاربة عبر مفاهيم ومصطلحات بارزة، هي:

1- الركيزة الأولى: ربط اللغة بالوعي والذهن:

الخطاب القرآني هنا لا يكتفي بإيصال المعلومة، بل يخاطب العقل الباطن؛ ليحدث تغييراً في المنظومة العقلية، والإدراكية، وفهمها للمعتقدات، والتصورات لدى المتلقي؛ إذ في الأساس العلاقة بين اللغة والذهن هي علاقة (تبادلية وجدلية)، وهي أحد أركان الإعجاز البياني والمعرفي بحيث يمزج القرآن الكريم بين البنية اللغوية والنشاط العقلي بالاستدعاء التصويري التخيلي، والتناغم المعرفي وأثارة في التفكير والتفكير بناء على الثنائيات المفهومية والمقابلة الذهنية التي تساعد في تصنيف المفاهيم الأخلاقية والوجودية بحيث تحقق الهندسة اللغوية للذهن صياغة صحيحة وسليمة للمفردات وربطها بالمنظومة الإسلامية الصحيحة والعميقة، فلم تعد اللغة مجرد وسيلة أو أداة لنقل الأفكار، بل هي اليوم الهيكل غير المادي الذي يبني الوعي، وعدستنا التي نشكل بها إدراكنا للواقع، حيث إن اللغة ومفرداتها هي التي توجه طريقة تفكير الإنسان، وبالتالي يُشكّل بها حدود عالمه، فما لا مفردة له في لغته هو خارج تصوره لعالمه وتكوينه، بالإضافة إلى ما تزوده به حواسه، وبخاصة منها (البصر، والسمع) اللذان ذكرا كثيراً في (القرآن الكريم) من صور، وأصوات، وألوان بحيث يستقبلها الدماغ والعقل الذي يقوم بترتيبها، وترجمتها، ودورهما في تغذية عملية (التأمل) فتتحول اللغة من أفكار مجردة في الدماغ إلى صورة إدراكية ملموسة قابلة للفهم عبر الوعي بها، واستيعابها، وبذلك تتشكل الذاكرة الثقافية، وقبلها يتشكل المعنى الذي يُعد الركيزة الأولى للانطلاق في تكوين الفكرة والمعتقد.

وفي سورة (الجن) ندرس اللغة بوصفها مرآة للعمليات الذهنية⁽¹⁾، بالبحث والتركيز في (آلية) التجسيد، والمجالات التصويرية، والاستعارة؛ لنبين هذا المنهج التفاعلات الدلالية العرفانية بين العقل البشري والكون، بتحليل الأنساق المعرفية، الإدراكية، والاستدلالية العميقة التي يعكسها الخطاب القرآني، حيث يُظهر التحول الفكري والنفسي المفاجئ بمجرد سماع لغة قرآنية مغايرة لما ألفوه؛ إذ تبدأ السورة بإعلان حالة المفاجأة الذهنية التي أحدثتها اللغة، فالتأثير المعرفي لكلمة (عجباً) تعكس الصدمة الإدراكية فلم تكن مجرد أصوات تمرّ على الأسماع بل مثلت مؤثراً هزّ قناعاتهم السابقة، ثم حدث الانتقال السريع للوعي نتيجة قوة البيان الإلهي وتحولاً من حالة الذهول إلى حالة الوعي والرشد الذي يعني قمة الوعي العقلي والذهني والأخلاقي في (يهدي إلى الرشد فأمنأ به)، ومن هنا بدأت إعادة هيكلة المفاهيم الذهنية وتصحيح التصورات في قوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾⁽²⁾، حيث إن لفظ (جد) يعكس تصحيحاً للمفهوم الذهني حول الألوهية، وهو بمعنى التنزيه والتعظيم، كما قام (الجن) بإعادة تقييم كبيرهم (إبليس) في قوله تعالى: ﴿وأنه كان سفهنا يقول على الله شططاً



﴿⁽³⁾ تدلّ على محاكمة ذهنية واعية للماضي ومراجعة وتغيير الأحكام، وهكذا يتبين بأن (القرآن الكريم) بنى الحقائق والقناعات على الحجاج العقلي والترتيب المنطقي والربط الذهني، وليس الإيمان العاطفي فحسب، بل على حسابات عقلية قائمة في أغلبها على الثنائيات مثل: الريح والخسارة، الدنيا والآخرة، الثواب والعقاب، الكفر والإيمان، وهكذا.

2_ الركزة الثانية : الاستعارة التصويرية، والمجالات المصدريّة⁽⁴⁾:

جاء في السورة استعارات لنقل المفاهيم المجردة إلى صورة حسية ملموسة تُسهّل إدراكنا لها وهي:

أ_ الاستعارة المكانية:

تدرس اللسانيات العرفانية الاستعارات المكانية بوصفها أداة ذهنية يُسقطُ بها العقل البشري تجاربه الحسية مع الفراغ، والمكان؛ لفهم المفاهيم المجردة مثل: الغيب، الإيمان، الكفر، القدرة الإلهية، ويتجلى المكان في السورة ك(بنية تصويرية عميقة)؛ لتفسير العلاقة بين السماء، والأرض، وبين عوالم الغيب، والشهادة، بحيث يتمّ تحويل المفاهيم الفكرية والعقائدية، والمعنوية المجردة إلى صور مادية ومساحات جغرافية ملموسة فيساعد هذا الأسلوب البلاغي في تقريب الفكرة وتجسيد المعنى النفسي والغبي في قالب حسي مألوف، ومن نماذجها نذكر:

_ استعارة السمع مقاعد وجدراّن المجال المكاني للاستراق :

في قوله تعالى: ﴿ وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾⁽⁵⁾، في الآية السابقة نُقلَ مفهوم تلقي الوحي، والأخبار الغيبية (وهو مفهوم مجرد أو تجريدي) إلى مجال المكان الحسي (المقعد)، و(الرصد)، في هذا التصور تعبير عن رصد الأخبار بصورة مكانية بحثة، حيث صُوِّرت أبعاد الفضاء وكأنها كراسٍ أو مواضع جلوس ثابتة ولموسة يقتنصون منها السمع، وجُعِلَت السماء بناءً ماديًا له شرفات ونقاط حراسة، وحُوِّلَ السمع إلى مادة يمكن التقاطها بالجلوس في مكان محدّد، كما تحوّلت الشهب تصويريًا لا حقيقة إلى قذائف مادية تحرس ثغور هذا المكان.

_ استعارة "الهداية والضلال مسارات وطرق مادية":

الأسلوب الحسيّ يقرب الفكرة للذهن ويجعل الاختيار الأخلاقي والعقائدي بمثابة رحلة يسير فيها الإنسان أو الجنّي في طريق وعبرٍ أو مستقيم، ويتّضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قِددا ﴾⁽⁶⁾، الطرائق القدد هي الفِرَق والمذاهب المتنوعة والمتقطعة، وشبهت أحوال الجن قبل إسلامهم بطرق وتفرعات مادية متوزعة، حيث يسير كل فريق في طريق منفصل عن الآخر ممّا يوحي بالضياء والتشتت وعدم وضوح الهدف، وفي قوله تعالى: ﴿ وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾⁽⁷⁾، الاستعارة التصويرية المكانية في هاتين الآيتين بُنِيَتَا على مخطط ذهني إدراكي متنوّع في (المصدر - المسار - الهدف)⁽⁸⁾، حيث يتمّ تصور المذاهب الفكرية (الإيمان، الكفر) على أنها طرق مادية مُتَشَعِّبَة، ويقابلها طريق واحد مستقيم (استقاموا على الطريقة)، في التصور العرفاني استعبرت كلمة (الطريقة) وهي السبيل أو الممر المكاني للتعبير عن الدين الحق والهدى والالتزام بأمر الله ﷻ لتفيد في تحوّل مفهوم (الدين) المعنوي إلى مسار جغرافي مستقيم، وجعل الثواب الماديّ (الماء الغدق) ناتجًا عن لزوم هذا الحيز المكاني المستقر، وبذلك تكون الاستقامة المعنوية مستمدة، أو مستوحاة من الاستقامة المكانية، أو المادية، وهي السير والمضي بتصميم في طريق أو خطّ مستقيم دون اعوجاج، هكذا تحوّل سورة (الجن)



المفاهيم المعنوية المجردة إلى جغرافية متحركة مليئة بالخطوات والطرق المستقيمة المريحة، والمنعطفات المتفرقة المثلثة، الأمر الذي يعمق شعور القارئ بأن كل عمل يعمل هو خطوة فعلية في طريق محدّد النهاية.

_ استعارة "العجز والقدرة حصار مكاني":

يتجلى مفهوم العجز البشري والجنيّ مقابل القدرة الإلهية في إطار الحصار المكاني الذي يفرض طوقاً لا يمكن تجاوزه، في قوله تعالى: ﴿وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً﴾⁽⁹⁾، في هذه الآية انبثت الاستعارة التصويرية المكانية على مخطط (الحاوية أو الاحتواء)، أو الحدود المكانية⁽¹⁰⁾؛ إذ صوّرت كوكب الأرض وكأنه مساحة مكانية مغلقة لا يمكن الخروج منها، أو الهروب من المالك لها (الله) ﷻ، كما صوّرت (الفرار من القدر) بالحركة الفيزيائية في الفضاء باستخدام اللفظ (هرباً)، فكانت الأبعاد المكانية (في الأرض) اعتراف بأنهم مهما تحركوا في أقطارها وجغرافيتها فهم تحت وطأة القدرة الإلهية، ولو حاولوا لن يستطيعوا، وإن استطاعوا الفرار من الأرض فإن السماء مرصودة بالشهب، هذا التصوير البلاغي الدقيق يدرك العقل البشري بأن حقيقة (العجز المطلق للوعي الجني) متحققة باستعارة انسداد الأفاق المكانية أمام هذه المخلوقات اللامرئية، ولا قدرات خارقة لهم كما يتصور بعض ضعاف الفكر، وأنه لا مهرب لهم من الله ﷻ ولا ملجأ إلا إليه .

_ استعارة "الغيب خزانة مغلقة":

تتمثل بلاغياً في قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾⁽¹¹⁾، في هذه الآية صُوِّرَ (الغيب) كياناً مكانياً محجوباً أو (حاوية مغلقة) لا يملك مفتاحها إلا (الله) ﷻ، على الرغم من أن اللفظ الصريح لـ (الخزانة) لم يرد في النص القرآني إلا أن الصياغة البلاغية واللغوية للآية تجسد هذا المعنى تماماً، وجعل لهذا المكان طوقاً، ومسالك وحراساً فالاطلاع على الغيب، حركة فيزيائية مادية بحسب تصوير الآية لها، يمنح الخالق الإذن للقيام بها إلى فئة محدّدة هو يرتضيها (فئة الرسل) فقط، تُسْتَشْفُ هذه الحركة من الفعل المضارع (يسلك)، كما أنه قيّد هذه الحركة والمعرفة بالغيب بـ (الإذن)، و(الحراس) المتمثلين في الإحاطة (من بين يديه ومن خلفه)؛ لمنع التسرّب في العلوم والمعارف الغيبية، بل هي عملية مقصورة على (الرسل) في حدود معينة هي (عملية الوحي) لكنّها تترسخ في الذهن بتصويرها بأبعاد مكانية، بتقريبها بالصورة لذهن الإنسان المتلقي العادي؛ ليستوعب أمور دينه.

3_ الركيزة الثالثة: التصور الذهني للمشينة والحركة:

تدرس اللسانيات العرفانية اللغة في نظام معرفي ينبثق من الإدراك والتجربة الحسية، وتتعامل مع (المشينة) والحركة بمفاهيم تتجاوز مجرد البنات اللغوية؛ لتربطها بالتمثيلات الذهنية والتجارب الحسية الجسدية، أو ما يسمى بتجسيد اللغة أو المعنى⁽¹²⁾، وفي سورة (الجن) يقوم التصور الذهني لها على صياغة مادية وحركية ملموسة لمفاهيم غيبية ونفسية، حيث تحوّلت الإرادة (المشينة) والتحوّلات الفكرية لدى معشر (الجن) إلى مشاهد بصرية مفعمة بالحركة والاتجاهات الجغرافية والكونية فربطت بين التصورات العقلية، واللغة في محاور عدّة منها:

_ استعارة الحركة، والاتجاه:



مثل: التعبير عن التصميم بالسير نحو الهدف، أو توجيه الطاقة، وأيضًا التعبير عن الأنماط الحركية، وتفاعلنا معها بمفاهيم القوة والمسار؛ لتسقطها على أفعال الإرادة و المشيئة؛ لتصبح مفاهيم قابلة للفهم وقريبة منه، وأيضًا باستخدام الترميز اللغوي للتجربة في مثل: الأفعال، وحروف الجر المرتبطة بالحركة مثل: إلى، من، والظروف المكانية، مثل: فوق، تحت، والظروف الزمانية مثل: أمس، وغداً، فتترجمها على أنها انعكاس لطريقتنا في إدراك العالم المكاني؛ لأن الإنسان يدرك الأفكار المجردة بالطريقة نفسها التي يدرك بها الأشياء في الفضاء المكاني، والزمني، ومثال ذلك في سورة (الجن) قوله تعالى: ﴿وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾⁽¹³⁾، في هذه الآية يبرز التباين الذهني بين مفهوم (الشر) المبني للمجهول في الفعل الماضي (أريد) الذي تُستشف منه الدلالة على (القدر المطلق)، ومفهوم (الرشد) المنسوب إلى الله ﷻ، ونستشفه أيضاً من الفعل الماضي ذاته (أراد) لكنه هنا مبني للمعلوم؛ ليعكس لنا هذا التحول الذهني لدى (الجن) في الوعي الإدراكي بصفات الله ﷻ من خير، ورحمة إلهية، مقارنة بالشر، هما ليسا بنقيضين لبعضهما، الأمر الذي أوقع (الجن) في الحيرة، وبالتالي يترتب على ذلك التسليم المطلق بأن المشيئة، والخلق، والتدبير هي أمور بيد الله ﷻ، كما أن افتتاحية السورة بفعل الأمر (قل) بمعنى (أخبر) تدلّ على أنّ العلم ليس بأمر (الجن) وما حدث معهم ليس من عند الرسول ﷺ، ويؤكد الفعل المبني للمجهول (أوجي).

4_ الركيزة الرابعة: البعد التداولي والمعرفي للإدراك البشري:

يرتبط البعد التداولي في القرآن الكريم بالسياق، والمقصدية، والأدب الخطابي بين المخاطب والمُخاطَب، ويمثل هذا الانتقال في سورة (الجن) تحولاً عرفانياً عميقاً من (التيه، والجهل) إلى (اليقين المطلق) بناءً على تحليل الخطاب، والنص القرآني وفق معايير ومحاوَر تتمثل في:

أ_ مرحلة الاستجابة المعرفية (الوعي بالقصور):

مَثَلًا قوله تعالى: ﴿وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾⁽¹⁴⁾، تحقق في هذه الآية مبدأ التأدب الخطابي فعن الحديث عن (الشر) بُني الفعل للمجهول (أريد) تلمظاً وتحاشياً لإسناده المباشر إلى الله ﷻ، بينما عند الانتقال إلى الحديث عن (الخير، والشر) صرّح بالفاعل تداولياً تعظيماً له (أراد بهم ربهم) بالإضافة إلى ما سبق شرحه في المشيئة والحركة، الآية نفسها تعكس حالة الإدراك المبدئي للذات لدى (الإنسان، والجن) على حدٍ سواء بالقدرة المحدودة لديهم، والاعتراف الضمني بالجهل بما وراء الطبيعة أو الغيب، اعتماداً على النفي المطلق (لا ندري) انتفاء صفة العلم بغايات الكون⁽¹⁵⁾، وهذا البعد التداولي يضيف على النص صفة الخصوصية في المصدر، و العمومية في التوجّه .

ب_ مرحلة التلقي والتداول (سماع الخطاب):

تبدأ بالتفاعل بين العقل، والوحي الذي وصفه القرآن (قرآناً عجياً)، الأمر الذي يدلّ على قدرة النصّ القرآني في (إحداث صدمة معرفية) إيجابية تكسر جمود التفكير المادي، وتفتح أفقاً جديدة للإدراك البشري، والاعتراف ضمناً بأنّ مصدر (القرآن الكريم) لا يمكن أن يكون بشرياً، وبخاصّة أنه معلوم لدينا بأنّ الوحي استمر على مدى ثلاثة وعشرين عاماً دون أن يختلّ بيبائه⁽¹⁶⁾.

ج_ مرحلة اليقين والاستقرار السلوكي:

يمثلها قوله تعالى: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾⁽¹⁷⁾، هنا يظهر البعد المعرفي في تحويل المعلومة الجديدة إلى عقيدة راسخة، ثم ينعكس تداولياً في شكل طمأنينة نفسية، وانعدام للخوف أو القلق من المستقبل⁽¹⁸⁾، إذًا كل المحاور العقلية السابقة من تساؤل،



وحيرة نتيجتها باتت معروفة وهي الوصول إلى التوحيد، والتأكيد على أنه لا أمان لمخلوقات الله ﷻ إلا عنده بالإيمان بربوبيته، وعدله، ونفي الخوف من المستقبل مطلقاً اعتماداً على حرف (النفي، والفعل المضارع)، (فلا يخاف)، للدلالة على الاستقرار الأمني للمؤمن إلى يوم القيامة (بخساً) أي: قليل، ولو بمقدار ذرة.

د_ مرحلة الأمان من الانتكاسات:

في اللفظ (رهقاً) يؤكد على الاستقرار السلوكي فلا يعتري المؤمن طغيان عن القوة، ولا ذلّ وانكسار عن الضعف، فلا تعب، ولا نصَب، في القرب من الله ﷻ؛ لأنّ المفتاح بيد المؤمن لأمانه، والثمرة السلوكية الناتجة عن هذا الإيمان المطلق بوحدانية الله ﷻ هي الثبات الانفعالي، والشجاعة الأدبية، والهدوء الداخلي الذي ينعكس في تصرفات المؤمن الخارجية.

5_ الركيزة الخامسة: نظرية الترابط البنيوي للتصوص:

لا تنظر اللسانيات العرفانية إلى المفردات بشكل معزول كلٌّ على حدة، بل في شبكة من السياقات⁽¹⁹⁾، وفي سورة (الجن) تفاعلت (البُنى الصرفية، والمعجمية) وشكّلت نسقاً معرفياً متكاملًا هدفه دائماً التوحيد، والإقرار، والاعتراف بالعجز البشري والجنّي أمام قدرة الله ﷻ، وتجسّد ذلك تحديداً في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾⁽²⁰⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾⁽²¹⁾، الآية التي يُسْتَشْفُ منها الإحاطة الإلهية المطلقة بعوالم الغيب، إذّا يتحقق التكامل النصّي، والنسق المعرفي في سورة (الجن): لإثبات التوحيد المطلق، والإقرار بالعجز لدى الإنسان، والجن بالتظافر بين صيغ النفي (لا أملك، لا أدري)، وصيغ الإحاطة الإلهية بالغيب المطلق (لا يُظْهِرُ)، وكذلك الاستثناء (إلا مَنْ ارتضى)، والاعتماد على النفي الذي تعدّد مع الأفعال (لا أشرك)، (لن يجيرني)، (لن أجد) كلها تصبّ في معنى التوحيد.

6_ الركيزة السادسة: دلالات الأفعال:

في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾⁽²²⁾، يُبرزُ الدرس اللساني العرفاني في الآية السابقة تداخلاً دقيقاً بين البلاغة، والنحو والدلالة العرفانية⁽²³⁾، فالتمييز بين الإحاطة (العلم الشامل) والإحصاء (الضبط المتناهي، وتتبع الجزئيات)، (أحاط) و(أحصى) فعلاً من الزمن الماضي وبوزن واحد (أفعل) يدلّان على معنيين دقيقين ومختلفين.

_الأول: للدلالة على العلم الشامل الذي لا يَعُزُّبُ عنه شيء.

_والثاني: يدلّ لغوياً على ضبط الأشياء وعدّها، وتتجلّى الإشارة العرفانية هنا في أن الله ﷻ لا يعلم الكليات فحسب، بل يضبط كلّ ما في الكون، وحيثياته بدقّة متناهية، وبخاصّة أنه ربطها بالعدد، ونستدلّ على (الفاعلية) في الإدراك من الفعل (ليعلم) الذي يعكس فلسفة لغوية⁽²⁴⁾ تربط بين (العلم)، و(العمل)؛ إذ أن الله ﷻ عالم بكل شيء أزلاً، ولفظة (العلم) لا تشير إلى اكتساب معلومة جديدة، بل تشير إلى (العلم) الذي يتعلّق به الجزء، أي: إظهار الشيء في الوجود الواقعي، وإثباته؛ ليكون حجّة قاطعة، وعن موقع الضمير في (أن قد أبلغوا) توضح قواعد النحو، والإعراب بشأن (أن) هنا جاءت مخفّفة من الثقيلة، وتفيد هذه البنية اللغوية التفخيم والتعظيم في استعراض حجم الرسائل السماوية، و الدور العظيم للرسول، وعن (واو) الحال في (أحاط بما لديهم) جاءت في محل نصب حال؛ لتضفي بُعداً عرفانياً عميقاً،



فهي تؤكد أن الحفظ الإلهي للرسول ورسالاتهم يتم في ظل علم دقيق، ومستمر بكل ما يملكونه من تكليفات ومهمات، الأمر الذي يبعث الطمأنينة في النفس.

7_ الركيزة السابعة : الزمن عرفانياً في سورة (الجن):

يشير الزمن العرفاني في سورة (الجن) إلى الانزياح ونظريته التي تقوم على التفريق بين زمنين للنص، وهما الأول: الزمن الخطي (التاريخي المحسوس) والمتعارف عليه، والثاني: زمن داخلي (إدراكي روحي)⁽²⁵⁾، وفي هذه السورة تحديداً يُمثّلُ الزمن بعداً تصوفياً ونفسياً يعكس صحوة (الجن) وتوبتهم، ونحن لم نعلم بهذا، ولم ندركه إلا بعد نزول الوحي، وإخبارنا إياه من قبل رسولنا الكريم ﷺ، ولهذا الزمن أبعاد تُمثّلُ في:

أ_ زمن التحول والانتقال (زمن الجن):

تبيّن هذا الزمن وتجلّى في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهِابًا رَصَدًا﴾⁽²⁶⁾ في اللفظ (الآن) إشارة إلى زمنين:

_ الزمن الأول: (زمن الضياع والغفلة) وهو الزمن الذي كانوا يسترقون فيه السمع، ويتعاملون فيه مع الكفرة والسحرة من الإنس بحسب ما جاء في أغلب التفاسير⁽²⁷⁾.

_ الزمن الثاني: هو (زمن النور، واليقظة) و زمن التحول التاريخي، والكوني مع مبعث الرسول ﷺ، حين شُدّت الحراسة على السماء، ومُبعّت الشياطين من استراق السمع، بحفظ الوحي من التحريف، الأمر الذي صدم (الجن) فأحدث الصدمة، والصحوة المفاجئة حين أدركوا عظمة هذا التغيير، والدلالة الزمنية المستوحاة من زمن الفعلين (سمعنا - يستمع) عميقة جداً وتشير إلى تداخل في الأحداث، لكنه في الآن نفسه دلّ على قطيعة بين زمنين، زمن (التيه، والشرك)، وزمن (المعرفة)، هي قطيعة بين (الماضي، والحاضر) في عالم فئة معينة من (الجن)، وهم المؤمنين منهم، فَمَثَّلَ هذا التحول الزمني تحولاً جذرياً في وعيهم الذي ترتّب عنه زمن (الإدراك، واليقين)، فلحظة الاستماع للخطاب الإلهي هي ليست لحظة الزمن (الفيزيائي الخطي الرقمي)، بل هي لحظة (الاستيعاب) المُستشَقّة من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾⁽²⁸⁾، فالأفعال الماضية التي حوتها الآية في المقاربات العرفانية، لا يُنظرُ إليها على أنها أحداث ماضية فقط، بل هي أحداث نفسية، وروحية حاضرة في كلّ وقت، الأمر الذي يُمثّلُ تجاوز ثنائية (الماضي / المستقبل) إلى (الحاضر المطلق)⁽²⁹⁾ الذي هو أيضاً نَسْتَشْفُهُ من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ لَشَهِيدٍ﴾⁽³⁰⁾، فالسفيه يتمثّل في القوى العقلية المادية التي تحيد عن طريق الحق، و(كان يقول) تشير إلى استمرار في الزمن لا انقطاعه، بدليل استمرار فرق من (الجن، والإنس) في الكفر، والدجل والشعوذة.

ب _ تحول الزمن في الكون:

دائماً نشير إلى الدلالة الزمنية العرفانية العميقة للأفعال الواردة في السورة، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلْسَمْعِ﴾⁽³¹⁾، نستنتج بأنّ الحديث يدور حول زمنٍ كوني قبل بعثة الرسول ﷺ، استناداً إلى الفعل (كنا نقعد)، وهو زمن استراق السمع الذي انتهى عندما قُبِدَ بفعلٍ آخر، وزمنٍ آخر في الفعل المضارع (فمن يستمع الآن)، لفظ (الآن) الدالّ على الزمن (مَثَلًا) للحظة النورانية العظيمة التي بُعِثَ فيها الرسول الكريم ﷺ، وهي ذاتها لحظة الإدراك الروحي، ولحظة القطيعة بين زمني الظلمة، والنور.

8_ حتمية الزمن الأخروي:



في آخر آيات السورة تأتي لحظة التأكيد على (الزمن الغيبي الأخروي المطلق) متمثلاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تَوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾⁽³²⁾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾⁽³³⁾، في هاتين الآيتين دلالات زمنية على غيبية الزمن، وأنه من الأسرار المحجوبة إلهياً ولا يدركها إلا هو، وأنَّ الزمن الأخروي آتٍ لا محالة لكنّه بيده وعلمه، وما للإنس، والجن إلا العلم بالزمن الدنيوي، استناداً إلى دلالات الأفعال (لا يُظْهَرُ)، (إن أدري)، (أقرب ما توعدون)، (أم يجعل) تغيب مقصود للزمن الأخروي، لكنّه حتّي الحدوث استناداً إلى لفظ (أمدًا) للدلالة على التسليم المطلق، والمجرد من قياس الزمن الدنيوي المحدود.

هكذا اختتمت سورة (الجن)؛ لتؤكد حقيقة ضعف المخلوقات أمام قدرة الخالق الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له .

_ خاتمة:

بحمد الله نأتي إلي خلاصة البحث في الدرس اللساني العرفاني في سورة (الجن) التي تركّزت في إبراز الجوانب اللسانية، وأبعادها الروحية، والتربوية العميقة المترتبة عليها؛ إذ تُعدُّ سورة (الجن) وثيقة قرآنية أثبتت أن القرب من الله ﷻ ليس حكراً على الإنسان وحده، بل هو متاح لكل مخلوقاته، وإنما يكون بالاستماع الصادق لقوله تعالى، والإيمان به، واتباع أوامره، والابتعاد عن نواهيه، وقد تلخّصت في هذه السورة بامثال (الجن) لأوامر الله ﷻ بناءً على طهارة الاستقبال، ونقاء التلقي، الذي وجّه السالكين إلى الله ﷻ التوجيه الصحيح حين اعترفوا بأنه (قرأنا عجباً) و(يهدي إلى الرشـد)، وتجلي النفس هو طريقها للنقاء، والتدبر في آيات الله ﷻ، كما أن السورة أكدت أنه لا مفرّ ولا منجاة من الله ﷻ إلا باللجوء إليه، والتوحيد له، وأشارت إلى التوازن الدقيق بين هيبة الخالق، والخوف من عذاب الآخرة؛ لتؤكد أنّ المعرفة الحقّة تُنمّر تقوى وخشية مستمرة، وفي ختام السورة جاء التأكيد على أنّ التسليم للغيب يُدرّب المسلم على الرضا المطلق بالتدبير الإلهي دون البحث في الأسباب الظاهرية أو النقاشات العشوائية، وكل ما دُكر استنتاجناه واستنبطناه من الدرس اللساني بناءً على المستويات اللغوية الأربعة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، التي اهتمّ بها الجانب العرفاني.

_ الهوامش:

- 1_ ينظر اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، لعطية سليمان أحمد الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، مصر، القاهرة، بلا ط ، 2019م:ص84-96.
- 2_ سورة الجن من الآية (3).
- 3_ السورة نفسها الآية (4).
- 4_ ينظر الاستعارة القرآنية النظرية العرفانية، لعطية سليمان أحمد، لا توجد بيانات أخرى: ص 151.
- 5_ سورة الجن الآية (9).
- 6_ السورة نفسها الآية (11).
- 7_ السورة نفسها الآية (16).
- 8_ ينظر الاستعارات التي نحيا بها، لجورج لاكوف، ومارك جونسون، تر. عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط2، 2009: ص21.
- 9_ سورة الجن الآية (12).



- 10_ ينظر نظريات لسانية عرفنية، للأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون، تونس ، بلا ط، 2009م: ص169.
- 11_ سورة الجن الأيتان (26 , 27).
- 12_ ينظر نظريات لسانية عرفنية: ص184-191.
- 13_ سورة الجن الآية (10).
- 14_ السورة نفسها ، و الآية نفسها.
- 15_ ينظر التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، لمسعود صحراوي، دار الطليعة، لبنان، بيروت، ط 1، 2005م: ص 15-30.
- 16_ ينظر صحيح البخاري، للبخاري، تحقق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ: ص 6/1-8.
- 17_ سورة الجن من الآية (13).
- 18_ ينظر اللغة والتفكير الاستدلالي، لأكرم صالح محمود خوالدة، دار الحامد، للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 1، 1437هـ: ص 99-108.
- 19_ ينظر نظريات لسانية عرفنية: ص169.
- 20_ سورة الجن الآية (21).
- 21_ السورة نفسها الآية (26).
- 22_ السورة نفسها الآية (28).
- 23_ ينظر النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي، لمحمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، لبنان، بيروت، ط 1 ، 1420هـ – 2000م: ص41.
- 24_ ينظر الفلسفة واللغة، للزواوي بغوره، دار الطليعة، لبنان، بيروت، ط 1 ، 2005م: ص195.
- 25_ ينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، تحقق. نديم المرعشلي، دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة، ط1، 1972م: ص166.
- 26_ سورة الجن من الآية (9).
- 27_ ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقق. محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط 1، 1419هـ: ص 253/8.
- 28_ سورة الجن من الآية (2).
- 29_ الزمان في الفكر الديني، لحسام الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1980م: ص80.
- 30_ سورة الجن الآية (4).
- 31_ السورة نفسها الآية (9).
- 32_ السورة نفسها الآية (25).
- 33_ السورة نفسها الآية (26).